منتدى الحوار العلمي

ندوة التخلف العلمي الشرعي والمنهجي.

الدرس العقدي المعاصر وحاجته إلى تفعيل مقاصد التوحيد.

******

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

أيها المشايخ الفضلاء والإخوة الأعزاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يشرفني أن أشارك في هذه الندوة العلمية المباركة حول التخلف العلمي والشرعي والمنهجي، والتي ينظمها منتدى الحوار العلمي برسالة شيخنا الأستاذ الدكتور أحمد الريسوني وبعضوية ثلة كريمة من أصحابه وطلابه، وأنا من طلاب طلابه .

وموضوع مشاركتي المتواضعة هو : **الدرس العقدي المعاصر وحاجته إلى تفعيل مقاصد التوحيد.**

ونقول وبالله التوفيق :

1- مقدمة .

إن من أشد ما تعاني منه الأمة الإسلامية في العصور المتأخرة التخلف العلمي والتراجع المنهجي في شتى مجالات العلم ومختلف حقول المعرفة، وقد نتجت عن هذا التخلف والتراجع آثار خطيرة تعرقل التقدم وترسخ التقليد وتكرس الجهالة في أبناء الأمة الإسلامية، كما تقعد الأمة عن وظائفها الدينية والحضارية في هداية البشرية والشهادة عليها، فلابد لهداية

البشرية من تحقق شرط البصيرة التي تقتضي المنهجية الصحيحة في دراسة العلوم وتفعيلها في الحياة،، ولابد أيضا للشهادة على الأمم من تحقق شرط الوسطية التي هي بمعنى الخيرية والريادة، قال تعالى { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[1]، قال ابن عباس رضي الله عنهم، قال ابن عباس " إن محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا على أحسن طريقة وأفضل هداية وهم معدن العلم وكنز الإيمان وجند الرحمن"[2]، وقال تعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ}[3]، قال ابن كثير رحمه الله " ولما جعل الله هذه الأمة وسطا، خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب " [4].

2- الدرس العقدي والتخلف المنهجي والعلمي .

وإن من مظاهر التخلف العلمي والمنهجي في الواقع المعاصر قصور كثير من العلوم الشرعية عن تلبية حاجات أبناء الأمة وعجزها عن الإجابة الكافية والشافية لأسئلة العصر المختلفة، لاسيما فيما يتعلق بعلم العقيدة والتصور للكون والحياة والمصير.

ومن شواهد هذا العجز والقصور المنهجي في مجال علم العقيدة إهمال مقاصد التوحيد وعدم تفعيلها في التعريف بالله تعالى والدعوة إلى إخلاص العبادة له سبحانه وتعالى، وبالأخص عند دراسة مبحث توحيد الربوبية، وهو الإيمان بوجود الله تعالى، واعتقاد تفرده في الملك والخلق والتصرف، ويستلزم توحيد الله في العبادة.

وهذا النوع من التوحيد يعاني من مشكلتين منهجيتين، أولاهما تتمثل في اعتباره هو لب التوحيد وأعلا مقاصده، وثانيتهما تتمثل في إهماله والتقليل من شأنه بدعوى أنه عقيدة راسخة في النفوس وقد أقر بها حتى المشركون.

ولا شك أننا إذا رجعنا إلى بحث مقاصد التوحيد نجد أن هناك غايات جليلة ومنافع غزيرة تتعلق بهذا النوع أو القسم من التوحيد، وهي ما اعبر عنها مقاصد الخلق والإيجاد وحكم التصرف والإمداد، حيث أن لله تعالى في خلقه

---

[1] سورة يوسف، الآية 108
[2] تفسير الخازن، 2 / 559
[3] سورة البقرة، الآية 143
[4] تفسير ابن كثير، 1/ 327

وإيجاده للمخلوقات مقاصد جليلة وحكم عظيمة، وذلك من كمال ربوبيته وملكه وذلك من أدلة استحقاقه وحده للألوهية، قال ابن عاشور رحمه الله: " فالله تعالى أخرج السماوات والأرض وما فيهن من العدم إلى الوجود لحكم عظيمة وأودع في جميع المخلوقات قوى وخصائص تصدر بسببها الآثار المخلوقة هي لها ورتبها على نظم عجيبة تحفظ أنواعها وتبرز ما خلقت لأجله...))[5].

3- من مقاصد العقيدة المتعلقة بتوحيد الربوبية .

فهناك مقاصد تتعلق بتوحيد الربوبية، وتنقسم إلى مقاصد عامة ومقاصد عامة، ومن المقاصد العامة: (الدلالة على الخالق، عبادة الله تعالى، التفكر والاعتبار، التسخير والامتنان، الابتلاء والاختبار).

ومن المقاصد الخاصة (مقاصد خلق السماء والأرض، مقاصد خلق الليل والنهار، مقاصد خلق الشمس والقمر، مقاصد خلق النجوم والكواكب، مقاصد خلق الجبال، مقاصد خلق البحار والأنهار، مقاصد خلق الرياح والأمطار والرعود والبروق، مقاصد خلق الأنعام، مقاصد خلق الجوارح والسباع مقاصد خلق الأشجار والنبات والزروع، مقاصد خلق الشعوب والقبائل المختلفة ...).

ومع موجة الإلحاد التي انتشر في العالم وبدأت تجتاح المجتمعات الإسلامية شيئا فشيئا، فلا بد من الاهتمام بتوحيد الربوبية وتفعيل مقاصده علمًا وعملًا وبحثًا ودراسة، لمواجهة الشبهات المثارة حول وجود الله تعالى، والرد على الطعون الموجهة إلى العقيدة الإسلامية الصافية، من الوصول إلى الغاية العظمى والمقصد الأعلى وهو الإيمان بالله تعالى وإفراده بالعبادة بمعناها العام والخاص، وذلك وفق منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في تقرير الربوبية والرد على الملاحدة والدهرية وغيرهم ممن ينكر وجود الله سبحانه وتعالى، مصداقا لقوله تعالى { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }[6]

ولعل من أنجح التجارب وأفضلها في هذا المجال تجربة الشيخ عبد المجيد الزنداني العالم اليمني الكبير، وتجربة الدكتور زغلول النجار عالم

---

[5] التحرير والتنوير، 7/ 307

[6] سورة فصلت، الآية 53

الجيولوجيا المصري الشهير، وهما من التجارب الدعوية الفريدة التي جمعت بين العلوم النقلية والعلوم العقلية، وبين الكتاب والسنة والفلسفة والحكمة، دون إفراط أو تفريط، وقد أسلم بسبب محاضراتهما ومناظراتهما عدد كبير من الملاحدة والأكاديميين والباحثين عن الحقيقة في الشرق والغرب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .